محاضرة : النقد النفساني و المتلقي للسنة الثالثةLMD

تمهيد:

إنّ وظيفة النقد الجوهرية لا تقوم لها قائمة إلا على أساس فلسفة ذوقية نفسية شاملة ، من خلال التركيز على الاهتمام بدراسة شخصية الأديب و مدى صلة ما كتب به ، و إنّ الاهتمام قد يظهره المتلقي باعتباره المصدر الأول في عملية تلقى مايبثه الأديب .

الوظائف التواصلية:

لقد بات الحديث عن التلقي اليوم حديثا متداولا بين الباحثين ، وكان لمفهوم هيمنة الوظائف التواصلية في التلقي أكثر شأنا من ذلك ، و هي وظائف لغوية تعبيرية و اشارية ، ندائيية و اقتضائية و قد جعلها رومان جاكبسون Roman Jakobson أساسا تنظيمها في التواصل مقسمة كما يأتي :

1- **الوظيفية التعبيرية Expressive**: وتقوم بنقل انفعالات المرسل و أحاسيسه و تتميز بخصائص صوتية ، وصيغ استفهامية و تعجبية و تأكيدية .

2- **الوظيفة المرجعية REFERENTIELLE** : وهي وظيفة يحدد من خلالها المرسل السياق وتمثل جانبا إعلاميا من الرسالة ويمكن أن تتحقق في اللغة اليومية و اللغة العلمية لاستنادها على الموافقة اللغوية بين أفراد التواصل .

3- **الوظيفة الافهاميةConative** : وهي ذات وظيفة تحفيزية و تتحقق على المستوى النحوي عبر العديد من الصيغ و خاصة النداء و الأمر.

4- **الوظيفة الانتباهية أو التنبيهية phatique**: ويقوم من خلالها المرسل التأكد من أن الاتصال قائم من المرسل اليه عبر استخدام سلاسل لفظية أو أشكال تعبيرية ، تمكن المتلقي المستمع من تحقيقه للرسالة المبثوثة .

5- **الوظيفة الميتالسانية métalinguistique:** وتتحقق هذه الوظيفة عبر الشروح التي يقدمها المرسل للألفاظ والعبارات التي يستعملها في التواصل وغايته في ذلك الفهم الأقصى للمتلقي أثناء تلقيه الرسالة .

6- **الوظيفة الشعرية poétique**: وتتعلق هذه الوظيفة بشكل الرسالة وجانبها الجمالي وتميزها الدلالي ، وقد اشترط جاكبسون في تحقيق هذه الرسالة مكونات أساسية وضرورية في عملية التواصل اللغوي وهي :

1- المرسل le Destinateur -الباث-

2- المرسل اليه le Destinataire –المتلقي-

3- الرسالة message – المعاني المبثوثة-

4- السنن Code: الشفرة المشتركة بين المرسل والمتلقي التي من خلالها يتم تركيب وتفكيك الرسالة .

5- القناة le canal: المظهر الفيزيائي للارتباط النفسي .

6- المرجع referens : وهو الواقع الذي يحيل إليه النص.

ومن هذه الترسمية لسنن التواصل بين المتلقي وباث ، أدرك جان بيلمان نوي **Jean Bellemin noel** في كتابه الموسوم ب "نحو لاوعي النص **versluncancient du text** الصادر سنة 1979 أن التحليل النصي للمتلقي يجب أن يكون ((اهتداء إلى مكونات لا وعي النص و البحث في المسكوت عنه و المغفل و

المضمر ، وفي البياضات الفاصلة بين الجمل و المقاطع ، فعبر مساءلة الحضور و الغياب تتكشف حقائق تتجاوز المستوى السطحي للبنية النصية و تجعل الكلمات في النص تنطق بصورة أكثر شفافية)) [1]

يستند بيلمان **Bellemin**في طرحه على رؤية خاصة تتعلق بدور((المتلقي،إذ نجده يسعى لإحلال الذات القارئة محل الذات الكاتبة ، ويغدو التواصل مع النص حوار مع الآخر الذي نشكل بصدده تصورا ورؤية يتفاعل من خلالها لا وعي النص المستند إلى التحليل و التحليل النفسي مع القيم و المدركات الخارجية للمتلقى الذي يشكل رؤيته الطلقة من تجربته في الحياة)) [2].

يفتح النص الأدبي أبوابه للمتلقي ، ليمارس هو الآخر صيرورة العمل الإبداعي ، بشحنه لتلك النصوص الغائبة ، إنّ النقد النفسي من هذا المنظور يندرج ((ضمن ما يتمتع به النص الأدبي من استقلالية فيغدوا التحليل النصي استراتيجية في القراءة قريبة من القراءة النفسية ،حيث يحل القارئ محل المؤلف ،وتتحول عملية القراءة إلى تفاعل مع اللغة الأدبية المشحونة بجملة من القيم الرمزية الدالة على اللاوعي)) [3].

إنّ دعوة بيلمان للمتلقي وحثه على دراسة نفسية المبدع و الحكم على نصه من خلال بعض المفاهيم و الصيغ الساكنة قد أثبتت جدواها في كتابه " الحكايات الشعبية و استيهاماتها " عام 1983 ؛حيث يقول ((أن الرسالة التي تفترض وجود مرسل ومتلق حتى لو كان أحدهما (غائبا أو غافلا) فيمكننا بلوغ المعنى من جانب واحد و سيصل الناقد إلى حقيقة اللاوعي الذي يحرك النص و ذلك عبر ما يطرحه من استفزازات يمكن الوصول إليها متى تحقق شرط التفاعل في المستوى التواصلي مع النص)) [4]

يعلم يقينا "**بيلمان Bellmin** " بأن المبدع يبني عالمه الإبداعي على رهان المتلقي و التحليل النفسي للأثر ، إذ ليس على الباث أن يتكلم بعد ما كتبه فيقول: ((إنّ النص هو حارس ، يلغي من صاغه ، يستوعبه ، ويضمه ، ويستخدمه من توفر له الحظ لنقده وفقا لتحليل نفسي)).[5]

---

[1] عز الدين اسماعيل :التفسير النفسي للأدب ص 202
[2] نفس المرجع. ص 213
[3] المرجع نفسه ، ص 185.
[4] نفس المرجع ، ص 185
[5]

لقد راهن **بيلمان** على أهمية المتلقي في العمل الإبداعي و كيفية انتقال النص من مبدع باث إلى محلل متلق ، وهذا ما يقودنا لاستقراء كينونة المتلقي في عملية الإبداع ، لا ينكر أحد الباحثين فضله كونه المركز الذي توجه إليه صنوف الإبداع ، وله كل الفضل في تحديد صيرورة النص و أهميته بالحكم عليه أوله .

و إنّ كانت هذه العلاقة بين المتلق و النص تبدو مرحلية، إلا أنها تكتسب أهمية كبرى عند اقترانها بالنقد النفسي فتتحول إلى معالجة نفسانية ، تبحث عن بؤر الأزمات ، و العقد النفسية .

تتحد الرؤية النقدية للمتلق بالرؤية السيكولوجية في مقاربته للنصوص الإبداعية ، وبناء عليه فإن هذه المقاربة لا ينبغي أن تهمل الجانب المنير في العملية الإبداعية وهو المبدع الذي ربط حياته بهذا النتاج الفكري الادبي .

الممارسة النقدية عند عز الدين إسماعيل :

يأتي كتابه **" التفسير النفسي للأدب"** من أهم الكتب النقدية التي استفادت من أطروحات الطبيب النمساوي **سيغموند فرويد** ، وقد سعى لتطبيق هذا المنهج سعي حثيث، تتعلق هذه المعطيات بوضع آليات منهجية لمقاربة النصوص الإبداعية مقاربة نفسية ، حيث تناول " قضايا و مشكلات التحليل النفسي للأدب ، وقد أرجع عملية الإبداع إلى تحديد قضيتين أساسيتين و هما : العصاب و النرجسية ، ففي الحالة الأولى يحس القارئ أو المتلقي بالتوتر النفسي الذي يعيشه المبدع و تعيشه الشخصيات ، أما عن النرجسية فيقرر عز الدين إسماعيل أنها ((الشعور الذي يغمر الشاعر فيحوره إلى نص إبداعي ، يعوض تلك الطاقة الذاتية القائمة فيه والتي تشكل منه قوة إيجابية،والذي يميز بين النرجسية عند الفنان و نزعة شد الانتباه عند الزعيم أو الرجل السياسي فيقول : إنّ الفنان ليس نرجسيا بالمعنى المألوف ، أو بالمعنى العادي للكلمة ، وذلك لأنه لا يغرم بذاته ، ولا يصنع من نفسه بطلا ، إنّ نرجسية الفنان نرجسية محورية ملغاة يعوض عنها العمل الفني)).عز الدين إسماعيل:التفسير النفسي للأدب ،ص28

لقد اهتم عز الدين كثيرا بعلم النفس وممارساته النقدية حتى جعل نفسه يقول : ((إن استخدام التحليل النفسي ، اتسع ميدان الأدب اتساعا عظيما)) .[1]

-الإجراء النفسي في النقد عند عزالدين إسماعيل :

[1]-عز الدين إسماعيل:الأدب وفنونه،دراسة ونقد ،دار الفكر العربي،القاهرة ،دط/دت .ص20.

يبقى النموذج الرائد في ذلك كتابه " **التفسير النفسي للأدب** " ، وقد اهتم بتحليل أجناس مختلفة من شعر، و مسرح ،ورواية .وقد عمل على دراسة رواية " **الإخوة كرامازوف " لدوستوفيسكي** ، رواية روسية عالمية ترجمت أكثر من مرة للشهير نجيب محفوظ ،وقد وقع اختيار الناقد على هذين النصين ((اعتقادا منه أنهما يمثلان الرواية أو القصة النفسية بكل معاييرها))عز الدين إسماعيل :التفسير النفسي للأدب ص202.

توقف الناقد عند رواية **"الإخوة كرامازوف "**، بتحديد ملامح شخصية البطل واصفا إياه بالشخصية المضطربة الحاملة للعنة الخطيئة ،وقد أدرك هذه الخطيئة من مواقفه الشخصية اتجاه الحياة والمجتمع . وعليه لقد كانت دراسة **عز الدين إسماعيل** لهذه الرواية دراسة نفسية مستنسخة عن أفكار سيغموند فرويد ،وقد أشار إلى ذلك الناقد ؛عندما اعتبر فرويد المثال الذي يحتذى بفكره ((لن نعطي لأنفسنا الحق في التحليل النفسي وتحليل شخصية دوستيفيسكي فقد سبقنا إلى ذلك فرويد رأس مدرسة التحليل النفسي ومن ثم فإننا نكتفي هنا بعرض تحليله ابتغاء الاستنارة به في تحليل القصة ذاتها))ص213. اعتبر الناقد عز الدين إسماعيل رواية " الإخوة كرامازوف " رواية نفسية تجسد الكثير من الصفات ،فالشخصية تملك عقدة الإجرام لتتحد مع صراعه النفسي فتنعكس على باقي الشخصيات ، وقد أشار الناقد بأن هذه الرواية هي تنفيس عن مكبوتات جسدها الروائي في عملية إبداعه ، من خلال معالم التناقض ،فعاطفته موجهة لشخصيات أنانية مجرمة ،وحبه موجه لمن يكره،وكرهه موجه لمن يحبه،تتشكل شخصيته وفقا لنزعة عدوانية ،تهوى تعذيب الذات بدل ترويضها ،وقد صرح **عز الدين إسماعيل** بتصريحات جد خطيرة عندما اعتبر دوستوفيسكي شخصية مجرمة في حقيقة تكونها ((وصفه ضمن المجرمين الذين يتلبسون بالفن لإفراغ مكبوتاتهم ،و خاصة تعليقه عندما حمل الروائي نوع من العطف على هذه الشخصية أو التعاطف

معها ، فلو أن كاتبا آخر غير مدفوع بالحماس الشخصي ... لأضاف لهذا الأب إلى جانب الصفات المرذولة بعض الصفات الايجابية ....لكن دوستيفيسكي كان مخلصا لنفسه و للحقيقة أكثر من إخلاصه للحرفية)) [1]

تجاوز الناقد **عز الدين إسماعيل** تحليل **"الإخوة كرامازوف"**إلى رواية **"السراب" لنجيب محفوظ**،أين حدد فيها مايسمى بعقدة "أورست" بعدما قرأ الناقد الرواية قراءة نفسية؛ كشف لنا عن هذه العقدة التي تسمى عقدة "أوديب" كذلك و التي استقاها من تسمية بطل مسرحية **أسخيلوس** ؛**أورست** هو البطل الذي انتقم لأبيه **أغامنون** التي قتلته زوجته **كليمنسترا** ، بعد أن عاد منتصرا من حرب طروادة لتتزوج بعشيقها ، وقامت بنفي ابنها **أورست** ، وبعد أن اشتد عود **أورست** عاد لقصر ابيه ، فتدعوه أخته للانتقام لأبيهما ، بقتل العشيق ثم بقتل أمهما ، و بعد المحاكمة ، قررت أثينا منحه الحرية ، فقرر مغادرة المدينة .

اعتمد **نجيب محفوظ** في روايته **" السراب"** على هذه العقدة النفسية ، وقد تجسدت في شخصية **"كامل "** الذي رغم تعلقه الشديد بأمه إلا أنه كان سببا مباشرا في موتها ، وقد تلتقي **" السراب"** مع عقدة أورست كون**" كامل"** كان يرفض زوجته حلاله ، ليقيم علاقة غير شرعية عن طريق الزنا ، وهنا نتذكر ، رحلة الحرية التي ارتآها **أورست** عندما منحه القاضي حكم الحرية بالبقاء في أثينا موطنه الأصل أو خروجه منها ، وهو الذي قرر الخروج و البحث عن البديل .

لعل الشيء الجلي بعد ما ذكرنا في الممارسة النقدية النفسية للناقد العربي **عز الدين إسماعيل** ، أن النقد النفساني وفقا لما أقره **"سيغموند فرويد** "قد تطور كثيرا ، عبر التجريب الروائي ، فبات الحديث عن الأمراض النفسية ، و العقد المختلفة ، سليل التحليل و المقاربة النقدية للنصوص الإبداعية ، ولا ريب أن تذلل كل الأطروحات النقدية ، لتجنيد المتلقي كونه المحقق الفعلي للأثر بعد المبدع .

[1] المرجع السابق ص 223